(١٢)

الفاتيكان - إرث طويل من العداء

في الفصل السابق، وضعنا أمام القارئ لمحة سريعة موجزة عن الحركة الماسونية والأندية التابعة لها من المنظمات الهدامة التي تسيطر عليها الحركة الصهيونية، مثل: «روتاري» و«ليونز»، وأظهرنا كيف أن الماسونية بمحافلها والحركة الصهيونية والرأسمالية الإمبريالية والمسيحية اليهودية ممثلة بالإدارات الأمريكية المتعاقبة وأوروبا، والسياسات العدوانية التي تسلكها، وجهان لعملة واحدة. وهذا ما تؤكده دراسة وضعها «مركز فلسطين للدراسات والبحوث في غزة»، جاء فيها: «إن الضغوطات التي تمارسها الكنائس الأمريكية، علاوة على الضغوط الأمريكية الرسمية» في معظمها أقرب إلى الصهيونية المسيحية. وقد حدث توافق كبير بين الرئيس رونالد ريغان وهذه الكنائس التي تتبنى طروحات تتجاوز الصهيونية واليهود في عدائها للعرب والمسلمين واستطاعت أن تجيّش دعماً كبيراً للعدو الصهيوني، وهي وإن كانت في غالبيتها بروتستانتية وإنجيلية، فقد جذبت بعض الكاثوليك، على غرار ما حدث في تشكيل «منظمة الكونغرس المسيحي الوطني» وهي من المنظمات الصهيونية المسيحية، وتم إنشاؤها عام ١٩٨٠ بهدف: توحيد المسيحيين من الطوائف والمنظمات كافة من أجل الوطن القومي اليهودي. وشارك في حفل إنشائها ممثلون عن المؤتمر الوطني للرهبان الكاثوليك، والمجلس الوطني للكنائس».(١)

وبعد أشهر قليلة من توقيع اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيوني، جرى توقيع اتفاق اعتراف متبادل بين الفاتيكان والعدو الصهيوني. وفي ١٥/٦/١٩٩٤، جرى التوقيع على اتفاق إقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين العدو والفاتيكان وتبادل الممثلين بين الجانبين، جراء ضغوط أمريكية قلبت رفض الفاتيكان للكيان الصهيوني قبولاً! فهل هي سياسة التذرع بالرفض أم هي سياسة التطابق والتوافق؟ الأرجح كذلك.

فمنذ قيام الكيان الصهيوني، برز موقف تطوري تجاهه تميز بالمزج بين الأحكام الدينية المسبقة، والبراغماتية السياسية. وعقب حرب ١٩٦٧ آثر الكرسي البابوي إجراء محادثات «غير رسمية».. مع الكيان بهدف تحديد وضع المصالح الكاثوليكية في فلسطين..!! على عكس سياسته (الفاتيكان) بصدد الشرق الأوسط التي سارت في اتجاهين:

الأول: اتجاه يهدف إلى توطيد العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعالم العربي،

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ٧٥٣١، ١ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠، بالأساس دراسة لمركز فلسطين للدراسات والبحوث - غزة - فلسطين.

حتى يتسنى للفاتيكان حماية مصالح المسيحيين من جانب، ثم بناء جبهة واحدة مع المسلمين ضد الشيوعية من جانب آخر.

والثاني، يهدف إلى إيجاد صيغة توازي الاتجاه الأول، للتفاهم بين المسيحية واليهودية، رغم العداء المستحكم بينهما، بسبب إيمان المسيحيين بثبوت جريمة اليهود في صلب المسيح عليه السلام. حيث برز تميز بالمزج بين الأحكام الدينية والبراغماتية السياسية، بالتحول من العداء إلى التحالف، ما تثبته المعطيات التالية:

أ ـ في العام ١٨٥١، أصدر البابا غريغوري الثالث عشر حكماً بإدانة اليهود، نص على «أن خطيئة الشعب الذي رفض المسيح، وعذبه تزداد جيلاً بعد جيل وتحكم على كل فرد من أفراده بالعبودية الدائمة». وحين انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، صدر عن الفاتيكان بيان جاء فيه: «لقد مرت ١٨٢٧ سنة على تحقيق نبوءة المسيح بأن القدس سوف تدمّر، أما أن تصبح بعد إعادة بنائها مركزاً لإسرائيل فهذا يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه».(١)

ب ـ وفي رده على مؤسس الحركة الصهيونية «ثيودور هرتزل» بطلبه دعم الفاتيكان، قال البابا بيوس العاشر: لا أستطيع التعاطف مع هذه الحركة، ونحن لا نستطيع أن نمنع اليهود من التوجه إلى القدس، ولا يمكن أن نقره. وكون اليهود لم يعترفوا بسيدنا، فنحن لن نعترف بالشعب اليهودي. كما أبلغ (بيوس العاشر) إلى هرتزل رفضه إقامة وطن يهودي في فلسطين لأنه يتناقض مع المعتقد الديني المسيحي.(٢)

ج ـ وفي عام ١٩١٧، صاغ البابا بنديكت الخامس عشر، شعار «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة». وعارض الفاتيكان وعد بلفور منذ صدوره وتبنّى رفض منح اليهود أي وضع مميز في فلسطين، بعد استقبال البابا البعثة العربية الفلسطينية في العام ١٩٢١. كما تميز موقف الفاتيكان خلال هذه الفترة بدعم المسيحيين العرب وتشجيعهم على النضال الوطني ضد الحركة الصهيونية.

د ـ يتواصل موقف الفاتيكان الرافض للاعتراف بأي وضع للحركة الصهيونية في فلسطين، يوم أرسل الفاتيكان مبعوثاً خاصاً إلى واشنطن في العام ١٩٤٦ ليبلغ الولايات المتحدة أن الكاثوليك في العالم لا يمكن إلا أن يُجرحوا في كرامتهم الدينية، إذا سُلمت فلسطين لليهود أو وضعت بصورة عملية تحت السيطرة اليهودية.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

بدأت الولايات المتحدة تكيل جام غضبها، كما يبدو أنها سياسة توزيع الأدوار، على الفاتيكان، كما الدول الكاثوليكية، بضغوط لتغيير هذا الموقف، إذ بدأ الفاتيكان بعمليات تنازل تدريجي. ففي حين لم يعترف الفاتيكان بالكيان، ورفض بداية قرار التقسيم، فإنه عاد للموافقة عليه. وكانت نقطة الانعطاف في الموقف من اليهود والصهيونية التي انعكست على الموقف من الصراع العربي ـ الصهيوني التي ارتبطت بالاتهامات التي وجهت إلى الكرسي البابوي بتأييد النازية، بينما المنظمات الصهيونية تصعد ضغوطها على الكنيسة الكاثوليكية لاستصدار وثيقة من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام. وقد صدرت بالفعل وثيقة فاتيكانية بعنوان «نوسترا إيتاتي» أعلنت أن موت السيد المسيح «لا يمكن أن يُعزى عشوائياً إلى جميع الذين عاشوا في عهده أو إلى يهود اليوم». وكان البابا يوحنا الثالث والعشرون قد ألغى من الصلاة الكاثوليكية مقطعاً يتحدث عن «اليهود الملعونين»، كما نصت الوثيقة على ألاّ يُنظر إلى اليهود كمنبوذين من الرب، كما شهد إصدار هذه الوثيقة صداماً بين الكنائس الكاثوليكية العربية والكنائس الغربية، حيث عارض المسيحيون العرب الاعتراف الفاتيكاني ـ الديني باليهودية.

وتستمر البراغماتية السياسية في انعطافة الفاتيكان حيال الحركة الصهيونية بكيانها الاحتلال العنصري. فبحلول نهاية عام ١٩٧٥، أعلن البابا بولس السادس أن على الفلسطينيين و«الكيان الصهيوني» تبادل الاعتراف بحق كل منهما في تقرير المصير ووطن، مع إشارات عبّر بها عما تحمّله «الشعب اليهودي» من مآس!!(١)

ونتيجة للبراغماتية السياسية، رأت المنظمات الصهيونية واليهودية أن حملتها بدأت تعطي ثمارها، فاستمرت في حملات الابتزاز، معتبرة:

١) أن وثيقة ١٩٨٥ التي تحدثت للمرة الأولى عن العدو الصهيوني مازجت بين اليهود كأتباع ديانة، و«العدو الصهيوني» ككيان، لم تُقم صلة زمنية بين الشعب اليهودي وبين الكيان الصهيوني.

٢) التأكيد على الأخذ بالاعتبار الخيارات السياسية للكيان الصهيوني.

٣) تأكيدات البابا في لقاءاته التي باتت اعتيادية بالزعامات اليهودية، بالارتباط التقليدي بين اليهود وأرض فلسطين وحث الكاثوليك على الاعتراف بذلك.

---

(١) عفيف الرزاز، مقالة في جريدة السفير اللبنانية، ١٩٩٢/٨/٦، وانظر: مصطفى طلاس، إيلاريون كبيوجي (راعي القدس)، دارطلاس ـ ص ٥٦ وما يليها.

٤) توقيع الفاتيكان مع الكيان الصهيوني اتفاقاً (١٩٩٧) يمنح وضعاً قانونياً للكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الأراضي المقدسة، نص على أن يسري حيث يطبق قانوني الكيان الصهيوني، بمعنى انه يشمل شرقي القدس.

٥) وبموجب هذا الاتفاق، تم إسقاط عبارة «كل التحفظات السابقة للفاتيكان»، ومنطوق شروطه التقليدية، حتى بمقياس «الاستقرار والسلام والعدالة والتوازن» الذي طالما تحدث عنه.

٦) وفي الآونة الأخيرة، بدا الفاتيكان وكأنه يريد إظهار الكيان الصهيوني كحامٍ للمسيحيين.

لا شك في أن الفاتيكان وبابا روما لعبا أدواراً سياسية إزاء الأحداث الكبرى في القرن العشرين، لا بل ساهما في صناعة بعض منها؛ وهما كانا بذلك يتابعان إرثاً طويلاً من النشاط السياسي للكرسي البابوي. فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أدرك الفاتيكان أنه يمكن أن يكون طرفاً في رسم السياسات، ورأى انطلاقاً من هنا ضرورة تنظيم دوره بما يلائم المرحلة الجديدة (النبذة السابقة) والتي بدأت تظهر فيها عوامل استقطاب مختلفة عن السابق، تجلت في المعاهدة التاريخية التي تم التوقيع عليها في ١١ فبراير/شباط ١٩٢٩ في روما بين «الزعيم الإيطالي ـ موسوليني» وأمين سر دولة الفاتيكان من قبل البابا بيوس الحادي عشر. ويقضي هذا الاتفاق بتنظيم العلاقة بين روما والفاتيكان، وإنشاء دولة الفاتيكان، (مساحتها ٤٤ هكتاراً) التي لا تخضع إلّا للسلطة البابوية. وتملك هذه الدولة الصغيرة ذات المساحة بالغة التأثير، مدرسة لإعداد الدبلوماسيين من الكهنة الذين يتعلمون كيفية فهم الدبلوماسية الكنسية، التي تختلف عما هي عليه في الدبلوماسية المدنية، حيث يمضي الطالب الكاهن أربع سنوات ليحصل على إجازة في القانون الكنسي، ثم يمضي بعدها سنتين في المعهد ذاته في دراسة الدبلوماسية على أنواعها،[(١)] ما يدعونا أن نطل على هذا الحضور الفاتيكاني ودوره، وكيف غدا السلطة الزمنية المتجددة.

يرى «روبرت بالمر» في ملاحظة وافرة الدقة أنه « طالما أكدت الكنيسة، بصفتها سلطة روحية، أن ميدانها، العناية بالنفوس، لا يقع في حال من الأحوال تحت سلطة الحكم. بيد أن الدين المسيحي ارتبط ارتباطاً وثيقاً منذ القرون الأخيرة من

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ٧٥٣١، ٢٠٠٠/١/١، بالأساس دراسة لمركز فلسطين للدراسات والبحوث ـ غزة ـ فلسطين، وانظر: محمد السماك تاريخ العلاقة بين الفاتيكان وإسرائيل جريدة النهار اللبنانية ١٩٩٤/٦/١٧.

حياة الإمبراطورية الرومانية بالسلطة الزمنية. فقد بدأت العصور الوسطى بسقوط روما عام ٤٧٦م تحت ضغط هجمات القبائل البربرية الجرمانية، التي استقرت في أنحاء مختلفة من أوروبا، ليؤدي اندماجها بالسكان الأصليين واعتناقها المسيحية إلى تشكل نواة الدول الأوروبية الحديثة، حيث تولى البابوات تتويج بعض الأباطرة مستمدين سلطتهم أو حقهم الإلهي في الحكم.. من سلطة الكنيسة وقوتها.(١)

لقد شهدت فترة سلطة الكنيسة وسطوتها تدهوراً في الحياة الفكرية، بينما كانت كلمة البابا مسموعة الى حد يجعلها موضع التنفيذ فور إطلاقها على شاكلة ما حدث في نداء البابا «أوربان الثاني» الذي أطلق الحروب الصليبية لقرنين من الزمن، وكيف تأثرت مجمل نواحي الحياة الأوروبية بالسلطة المطلقة وغير المحدودة للكنيسة،(٢) بحيث تبدو التطورات الأوروبية اللاحقة وثيقة الارتباط بمدى قوة وضعف الكنيسة في إطار عملية صراع مع القوى المناهضة لسيطرتها. إذ أن الكنيسة الكاثوليكية قادت في البدايات المبكرة جداً الحملات الضارية ضد عالم الحِرفة الحرة والتجارة العالمية النشطة، فكانت الحروب الصليبية وكان التحالف مع التتار وتحريضهم على غزو المنطقة العربية، ليشكل ذلك العوامل الفعالة الأولى لظهور الرأسمالية. وفيما بعد كان الرهبان الكاثوليك في مقدمة الحملات الأوروبية، التي توجهت لإزالة المعوقات أمام رواد الرأسمالية، وكذلك الأمر بالنسبة لاجتياح أمريكا.

ويضيف «نصر شمالي» في مؤلفه «فساد النظام العالمي، الضعف في ذروة القوة»: يمكن الافتراض بأن تحرك الرهبان لم يكن متجهاً رأساً نحو هدف سياسي مباشر، بيد أن الكنيسة التي تأسست على هذا النحو من النظام الرأسمالي الاحتكاري، أصبحت في موقع الدكتاتورية شبه المطلقة، بما يعوق صعود قوى النظام الجديد. فقد شكلت الكنيسة في بدايات عصر النهضة محاكم التفتيش الرهيبة وراحت تبيد الناس بعشرات الآلاف ذبحاً وحرقاً بسبب مخالفتهم لعقيدتها؛ وفرضت وصايتها على الفكر عموماً، مدافعة عن سلطانها الزمني والروحي، لتتحول بذلك إلى معوّق عنيد وعقبة كأداء أمام صعود النظام الرأسمالي الذي كان له الدور الرئيسي في التأسيس له،(٣) ما فتح الطريق أمام حركة اعتراض قوية تمثلت في ثورات فكرية تدعو إلى سلطة

---

(١) روبرت بالمر، الثورة الفرنسية وامتداداتها، دار الطليعة ـ بيروت، ص ٤٠. وانظر: نصر شمالي، فساد النظام العالمي، الضعف في ذروة القوة، دار المستقبل ـ دمشق، ص ١٤٩–١٥١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

المعرفة وإلى محاربة الغيبيات، وإلى نشر الإلحاد كطريق للخلاص النهائي من سلطة الكنيسة، على أن التحدي الأبرز الذي واجهته تلك السلطة، كما في حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر ثم في الثورة الفرنسية.

أما التوجهات الاستعمارية الأوروبية ودور الكنيسة فيها، فيعرّج عليها «روبرت بالمر» بالقول: «ومن موقع سلطة الكنيسة تلك، لعب الباباوات دوراً أساسياً في تحريك التوجهات الاستعمارية الأوروبية، مضيفين إليها طابع الحروب الدينية المقدسة تماماً كما كان عليه الحال في وصف الحروب الصليبية. في حين أن أهداف تلك الحملات الاستعمارية كانت بعيدة كل البعد عن مسألة الدين ونشر المسيحية. لكن الوقت لن يطول، حين تضفي الكنائس على الصراع الديني والحروب في داخل أوروبا الصفة المقدسة؛ فقد انعكس الخلاف بين الكنائس صراعاً مريراً، فاضطهد الكثالكة حيث كانت السلطة للبروتستانت، واضطهد الأخيرون من قبل الكاثوليك. وحتى عام ١٧٥٠، الذي شهد انخفاضاً في حدة العداءات الدينية، كان اضطهاد أتباع المذاهب الأخرى يحمل صفة الحروب الدينية وتوسم بالقداسة.(١)

لكن، كيف تطور تاريخ علاقة المسيحية باليهودية الصهيونية؟ تجمع الدراسات العائدة لكل من: المؤرخ «فكتور سحاب»، والباحث «جورج عيراني»، و«إنعام رعد» والكاتب والمحاضر الجامعي الأمريكي «دارسي أوبراين» والكاتب الأمريكي الاستاذ في جامعة بنسلفانيا «والتر ماكدوجال»، على أن النزعات المسيحية الأولى في القرن الميلادي الأول كانت عديدة وكثيرة المشارب. لكن نزعتين منها بقيتا على مدى التاريخ هما المسيحية اليهودية والمسيحية الرومانية، على الأخص. وكانت المسيحية اليهودية نزعة في المجتمع المسيحي الأول، تعتقد أن السيد المسيح (عليه السلام) جاء ليبشر اليهود دون غيرهم، ليصلحوا ما فسد من دينهم، بفعل الكهنة والفريسيين. ولم تكن هذه النزعة ترى حاجة إلى تبشير غير اليهود بالدين الجديد، حتى أن ثمة مؤرخين يعتقدون أن القول بولادة المسيح (عليه السلام) في بيت لحم لا في الناصرة بفلسطين، إنما غرضه نسبة المسيح (عليه السلام) إلى نسل داود الذي كانت عاصمته بيت لحم، على الرغم من أن الإيمان المسيحي لا ينسب (المسيح عليه السلام) إلى سلالة بشرية، مثلما نعلم. أما النزعة الرومانية فتستند إلى رواية الإنجيل أن «بيلاطس النبطي» الحاكم الروماني غسل يديه تبرئة لنفسه من قتل المسيح حين

---

(١) روبرت بالمر، الثورة الفرنسية وامتداداتها، دار الطليعة - بيروت، ص ٤٢-٤٥.

طلب منه اليهود ذلك. وتبرز هذه النزعة أن اليهود قالوا وهم يطالبون بدم المسيح (عليه السلام)، دمه علينا وعلى أبنائنا. وقد تزعّم النزعة المسيحية الرومانية فيما بعد القديسان بطرس وبولس. فالثاني كان يبشر بأن الدين الجديد جاء ليخلص الجنس البشري كله، لا اليهود وحدهم. أما بطرس الذي ذهب إلى روما ليبشر بهذا الدين، ثم صُلب هناك، فهو في نظر الكاثوليكية الرومانية الصخرة التي توسّس عليها حقها في تزعم المسيحية، لأنه خليفة السيد المسيح..!

وعلى الرغم من أن المسيحية اليهودية (إذا صحت التسمية) استفادت كثيراً مما يُقال عن اضطهاد الإمبراطور «نيرون» للمسيحيين الأوائل، فإن روما عادت وانتصرت حين اعتنق الإمبراطور «قسطنطين» الدين المسيحي في القرن الرابع، واعتمدت مجامع فينيقيا ٣٢٥م، والقسطنطينية، وفلقيدونية ٤٥١م، على الأخص النظرية الغربية في مبادئ الإيمان المسيحي. قبل ذلك كانت ثمة عقائد أخرى في المسيحية قمعتها الإمبراطورية، مثل عقيدة (آريس) القائل بعدم ألوهة المسيح ثم عقيدة «بولس» الذي كان بطريركاً في أنطاكية إبان النزاع بين تدمر وروما في نحو سنة ٢٦٠. وقد وقف بجانب زنوبيا واتهمته روما (وكانت ولا تزال على الوثنية) بأنه يهودي، لأنه لم يقل بألوهة المسيح. وقد أجمعت الدراسات لتثبت أن «بولس» هذا لم يكن يهودياً قط، ولا كانت «زنوبياً»، وإن هي إلا تهمة رومانية من دولة لم تكن حريصة على العقيدة المسيحية، لكنها استخدمت عداءها لليهودية من أجل تشويه سمعة واحد من خصومها السياسيين.

ولم تقلع روما عن هذا السلوك المعادي لليهود، لأنهم كانوا حلفاء الفرس الساسانيين في الصراع على طرق التجارة بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، إذ كانت ساحة هذا الصراع بادية الشام والجزيرة العربية. وكان اليهود منتشرين في منطقة طبرية وخليج العقبة في فلسطين إلى خيبر فيثرب ونجران ودولة الحميريين في اليمن. وكانوا (اليهود) يقاومون التمدد المسيحي الروماني ثم البيزنطي السياسي والديني في هذه المناطق، في صراع أخذ الطابع الاقتصادي، السياسي والديني، لم يساعد إطلاقاً على إنهاء العداء التاريخي بين روما واليهود.

على أساس هذه المهاد التاريخية، كان منطقياً، حسب تأكيد المؤرخ «فكتور سحاب»، في بحث له نشرته جريدة الخليج الإماراتية تاريخ ١٧ فبراير/شباط ٢٠٠٣، أن "تظهر حملات اضطهاد اليهود في أوروبا في القرون الوسطى، حين كانت ديار المسلمين ملاذاً لهم، وكان منطقياً أن يشترك اليهود في الجهود السياسية التي

حثت العرب، ولا سيما القائد العسكري الأموي في المغرب «موسى بن نصير» على دخول الأندلس، لأنهم رأوا في ذلك خلاصاً لهم من الكاثوليك. وقد ازدهر المجتمع اليهودي في دولة الأندلس العربية الإسلامية، بل كان تراثهم الثقافي فيها من أزهى ما يفخرون به على مدى العصور.

وحين شنت مملكتا أراغون وقشتالة الحرب على العرب والمسلمين في الأندلس، فيما سُمي حرب الاستعادة، كانت محاكم التفتيش سيئة السمعة، موجهة أصلاً ضد العرب والثقافة العربية، لا ضد اليهود. فكانت كتب الفلك والرياضيات تُحرق إذا كانت بالعربية. وما أصاب اليهود من هذه المحاكم، إنما كان بسبب اتهامهم بالعمالة للعرب، فنزحوا معهم إلى المغرب.

وهكذا كان سقوط الأندلس سنة ١٤٩٢، نوعاً من ثأر روماني من اليهودية، على الرغم من أن هذه اليهودية لم تكن لها علاقة حينئذٍ بأي نوع من المسيحية اليهودية[1]». غير أن الثأر الأندلسي من روما لم يتأخر. لكنه جاء من شمال أوروبا، حين أخذت تظهر ملامح ثورة قومية ألمانية يتزعمها الراهب «لوثر» تتمرد على روما والبابوية الكاثوليكية. في هذه الحركة المعادية لروما ظهرت ملامح الثأر اليهودي مع اشتداد بعض الكنائس البروتستانتية بالتوارة، أكثر من اهتمامها بالإنجيل. إلا أن سياق الصراع داخل الكنيسة المسيحية نفسها بين النزعتين الرومانية و«اليهودية» لم يكن سهلاً نسيانه، حين تكون روما طرفاً في النزاع مع فريق يحتفل بالتوارة أكثر من احتفاله بالإنجيل.

وحين نشبت الثورة الفرنسية، وكان الإكليروس الكاثوليكي الفرنسي محسوباً على النظام القديم فيها، لم يكن صعباً على اليهود والحركة الماسونية، والبروتستانت الفرنسيين، أن يأخذوا جانب الثورة التي أشهرت شعار «الحرية والمساواة والأخوة» لنقض سلطان الملكية والنبلاء.. والكنيسة.

وخلال معركة استقلال الولايات المتحدة عن الحكم البريطاني، وطبقاً للمؤرخين والمفكرين والكتاب أمثال (نعوم تشومسكي، ديفيد هارفي، جيف سيمونز، اليزابيث مارتنيه، أريجي، شالمرز جونسون، فريد هاليداي، محمد حسنين هيكل، عبدالحي زلوم، محمد عابد الجابري، كريس هيدجين، وغيرهم) مارس الأمريكيون التطهير العرقي والإبادة الجماعية بحق الهنود الحمر واستولوا على ربع أراضيهم الشاسعة

(١) المؤرخ فكتور سحاب في بحث نشر في جريدة الخليج الإماراتية تاريخ ١٧ فبراير/شباط ٢٠٠٣.

في حرب وحشية ضد المكسيك، وسيطروا على مستعمرات وراء البحار بهدف التوسع ونهب الثروات. ومكّنت الانعزالية الأنانية الأمريكية هتلر من أن يرتكب جرائمه، بينما ساعدت العنصرية الأمريكية المعادية لليابان على التحريض على قصف «بيرل هاربر» واستخدام الأمريكيين للقنبلة الذرية في كل من هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين، وأن الاستعمار الاقتصادي الذي مارسته الغطرسة الأمريكية أثار لهيب الحرب الباردة، مثلما سببت البلطجة الأمريكية وآلتها العسكرية سباق التسلح النووي، والإمبراطورية الأمريكية، التي لم تعد سياساتها تنطلي على أحد، وهي تمنع المجتمع الدولي عبر مجلس الأمن من أن يتخذ قراراً في صلب عملية التسوية في الشرق الأوسط، تنتهي بقيام دولة فلسطينية، وتوفر في الوقت نفسه للعدو الصهيوني كل أسباب ومقومات الاحتلال والاستيطان، وتقيم الدنيا ومعها الغرب، حول اعتقال جندي صهيوني جاء ليقتل ويسفك الدم ويدمر، وتعتبره جريمة حرب، فيما الولايات المتحدة ومعها الغرب يعمي أبصاره عن آلاف الأسرى الفلسطينيين الذين يزج بهم الاحتلال الصهيوني في معسكراته النازية، وعلى أرض وطنهم المحتل من زمن تجاوز العقود الستة، تماماً كما زجت الولايات المتحدة بالمعتقلين في أبوغريب وغوانتانامو ونكلت بهم. وكيف يمكن أن تزاوج الولايات المتحدة، ومعها كيانها العنصري في فلسطين المحتلة، بين رفضها الانضمام أو الاعتراف بالمحكمة الجنائية الدولية لكي تنقذ جنود الكيان القتلة من أية مساءلة، وفي الوقت نفسه تمارس الضغوط بشأن قضية اغتيال رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري؟، بهدف أمريكي لا يحتاج إلى تحليل، إدخال لبنان في لعبة الأمم، ووضعه على مشرحة الفصل السابع، شأنه شأن العراق وقبله أفغانستان، ودول عربية أخرى، مدرجة على قائمة «الفوضى الخلاقة»، للعبث بمكونات لبنان الطائفية والمذهبية والإثنية، بما يتوافق ويترابط والأهداف والغايات المشتركة بين العدو الصهيوني والدول الغربية، وكذلك السودان الذي تحول جنوبه بعد قيام دولة الانفصال هناك إلى خاصرة للمتاعب. والتهديد ليس للسودان فحسب، وإنما لكل وادي النيل وبقية العرب، في ظل الأدوار الأمريكية الصهيونية الغربية التي حققت الانفصال.

وكيف يمكن أن تعلن الولايات المتحدة الأمريكية أن قرارات الأمم المتحدة مبرمة، بل ويذهب العدو الصهيوني إلى ممارسة العدوان وجرائم الحرب والتهويد والاستيطان في فلسطين، أو ضد لبنان وشعبه، لغرض تطبيق قرارات دولية صدرت. وعندما يأتي الدور على ما صدر من قرارات في شأن هذا العدو، تكمّ الأفواه وتلجم الألسن وتشل

الإرادات، ويصير كله من أجل عيون الدفاع عن النفس.. والأمن الصهيوني.. إنها شريعة الغاب.

أما معركة استقلال الولايات المتحدة عن الحكم البريطاني، فإنها كانت مرحلة أخرى في مراحل تحالف الثورة الفرنسية المعادية لسيطرة روما على الكنيسة، مع مجتمع متحرر من هذه السيطرة. إذ كان معظم المجتمعات الأمريكية في الولايات الثلاث عشرة، المؤسسة من المهاجرين الأنجلو ساكسونيين والجرمانيين، والبروتستانتية غالبة بينهم على الكاثوليكية. وقد تعززت النزعة التوراتية في المسيحية الأمريكية، لأن المجتمع الأمريكي، مثل المجتمع العبراني، كان مؤسساً على اجتياح أرض الغير (الأمريكيون اجتاحوا أرض الهنود الحمر، والعبرانيون (أرض كنعان) فكان لابد من تشريع هذا الاجتياح واقتلاع الشعب من أرضه بزعم الحق الإلهي، عن طريق استيطان أسطورة أرض الميعاد، بالزعم أن ما يبدو اغتصاباً، إنما هو تنفيذ لإرادة إلهية..! ومن هنا يبدو تعلق بعض الكنائس البروتستانتية الأمريكية المغالي بالتوراة والفكر التوراتي، والإحساس بضرورة إسناد ودعم «الكيان»، حتى قيل في بعض هذه الكنائس أنها أشد تطرفاً في صهيونيتها من اليهود أنفسهم.

وإذا شئنا متابعة هذا الخيط التاريخي حتى منتهاه، في هذا الصراع داخل المسيحية، بين نزعة رومانية كاثوليكية وأخرى مسيحية يهودية، نلاحظ أن «أدولف هتلر» زعيم الحزب النازي، كان كاثوليكياً من النمسا.(١) ويجدر القول هنا أن الحركة النازية كانت فرصة تاريخية للحركة الصهيونية التي كانت تتمنى حدوث ما يقنع يهود أوروبا والعالم، بأن بقاءهم لم يعد مأموناً إذا لم يهاجروا إلى فلسطين.

---

(١) جريدة الديار اللبنانية بيروت ١٧/٤/١٩٩٤، وانظر، جورج عيراني، الفاتيكان وكاثوليك الشرق الأوسط، جريدة السفير اللبنانية - بيروت، ٢٠/١٠/١٩٩٦.